الإمام أبو الحسن اللخمي ومكانته بين علماء المذهب المالكي

عبد القادر قطشة

أستاذ مؤقت بكلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر1

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد منّ الله على هذه الأمة المسلمة بأن حفظ لها دينها, فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. فقيّض رجالا اصطفاهم واختارهم لخدمة هذا الدين, ليرشدوا المسلمين ويقوموا بتبليغ شريعة ربّهم إلى النّاس أجمعين, فأناروا الطريق لأنفسهم وللناس, وتوارث الناس هذا المشعل كابرا عن كابر, وكثر أهله وأتباعه, وأعظم من كان له اليد الطُّولى, في توريث هذا العلم ونشره, أئمة المذاهب الأربعة, الذين فاقوا أقرانهم, واتبعهم أكثر المسلمين.

فخدم أتباع هؤلاء الأئمة مذاهب أئمتهم فدونوا قواعدها وبينوا فروعها، وانتصروا لها فكان منهم المنصف في نصرة مذهبه المعتدل في نقده لخصومه، ومنهم الغالي في نصرته المعتدي في نقد خصومه، وتتابع حملة هذه المذاهب حتى أنشأت مدارس فقهية تميزت كل مدرسة عن أختها بأصول وقواعد منهجية في تقرير العلوم والتدريس بل أصبح للمذهب الواحد مدارس متعددة تختلف عن غيرها في المنهجية، وتتحد معها في المضمون وتلتقي في الأصول كالمدرسة المالكية بالعراق التي تختلف عن المدرسة المالكية بالحجاز والقيروان وهكذا لكل مذهب مدارسه.

ومن المذاهب الفقهية الواسعة النِّطاق, الكثيرة الأتباع, المذهب المالكي الذي امتاز بكثرة التلاميذ الذين لازموا إمام المذهب وأخذوا عنه العلم, ورووا عنه الحديث, وتفقهوا بمذهبه, والتزموا أصول اجتهاده, وكانوا من أصقاع مختلفة, فلما رجعوا إلى بلدانهم حملوا معهم ما كانت تتمتع به شخصية الإمام مالك العلمية, فحملوا موطأه, وهو حصيلة اجتهاده. وحملوا في نفوسهم شخصيته العملية لما رأوا فيه من سِمَات التقوى والصلاح اللذين حبا الله تعالى بهما هذا الرجل وارث علم الصحابة والتابعين.

وممن كانت لهم جولة وصولة في نشر مذهب الإمام مالك في المغرب وإفريقية، علماء القيروان الذين صبروا على المحنة التي أصابتهم من الدولة العبيدية فثبتوا وواجهوا المعتقدات الفاسدة والتحريفات الباطلة," **فجزى**

[1] – سورة الحجر الآية 09

الله مشيخة القيروان هذا يموت,وهذا يضرب, وهذا يسجن, وهم صابرون لا يفرّون, ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة".[1]

ومن المبرزين والمشهورين من علماء القيروان, الذين كانت إليهم الرحلة علمنا الإمام **أبو الحسن اللخمي القيرواني**, صاحب (التبصرة) نزيل صفاقس، حائز رئاسة المذهب المالكي بافريقية.قال صاحب شجرة النور الزكية: (أبو الحسن علي بن محمد الرَبَعِي المعروف باللخمي **الإمام الحافظ العالم العامل العمدة رئيس الفقهاء في وقته وإليه الرحلة**) [2].

وقال الحجوي: (اللخمي **أحد الأئمة** الأربعة المعتمدة ترجيحاتهم في مختصر خليل) [3]
اشتهر بكثرة الاختيار فأكثر الأقوال في المذهب ولهذا بدأ به خليل حين ذكر الأربعة الذين خصهم بالتعين, لكثرة تصرفهم في المذهب فقال: (ومشيرا **بالاختيار للخمي** إذا كان بصيغة الفعل فذلك لاختياره هو في نفسه, وان كان بصيغة الاسم فذلك لاختياره من الخلاف) .

لهذه المكانة العلية التي حازها الإمام اللخمي ارتأيت أن أتكلم عن سيرته الشخصية والعلمية وعن مكانته بين علماء المذهب المالكي

الدراسات السابقة:

برزت مؤخراً دراسات وأبحاث حول اللخمي وفقهه كان منها :

–أحكام البيوع من خلال تبصرة الإمام اللخمي دراسة وتحقيق . "- من إعداد الطالب : **عبد المجيد الكتاني** أطروحة لنيل الدكتوراه وتضم أحكام البيوع الكتب التالية : الصرف ،التدليس بالعيوب ،السلم الأول، السلم الثاني، السلم الثالث، بيع الآجال ، البيوع الفاسدة، بيع الخيار، بيع الغرر، الوكالات.

– **الإمام اللخمي وجهوده في تأسيس المدرسة النقدية عند المالكية بالمغرب"** من إعداد الأستاذ: **محمد مصلح** لنيل درجة دكتوراه ، وقد طبع هذا العمل وصدر مؤخرا ضمن إصدارات دارالبحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث ب " دبي."

***الإمام أبو الحسن علي اللخمي واختياراته الفقهية ، من أول كتاب الطهارة إلى نهاية كتاب الجنائز ،** جمعا ودراسة ومقارنة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، مقدمة من الطالب :محمد ووري بري .

---

[1] – معالم الإيمان في صلحاء القيروان. عبد الرحمن الدباغ(292/2). تحقيق إبراهيم شبوح. مكتبة الخانجي القاهرة. الطبعة الثانية1968 في ترجمة أبي جعفر محمد بن خيرون المعافري.

[2] – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد مخلوف (117/1) دار الكتاب العربي

[3] – الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن الحجوي (215/2) مكتبة دار التراث الطبعة الأولى1977

***اختيارات الإمام اللخمي الفقهية من بداية كتاب الزكاة إلى نهاية أبواب الفقه، دراسة مقارنة .** إعداد : إبراهيم جالو.

ترجمة الإمام أبى الحسن اللخمي

للكلام عن السيرة الشخصية للإمام أبي الحسن اللخمي، ارتأيت أن أجمله في هذه النقاط بدءا باسمه وكنيته ونشأته ثم الكلام عن نسبه ونسبته ووفاته.

هو: علي بن محمد، هكذا ذكرت جل المصادر التي ترجمت له.لكن ورد في مجلة معهد المخطوطات العربية "علي بن علي" وهو وهم واضح، ولم أجد له مستندا في كتب التراجم.

أما كنيته:اتفقت كل المصادر التي ترجمت لعلمنا أنَّ كنيته: "**أبو الحسن**".

و هذه الكنية اشتهر بها في كتب الفقه المالكي، فغالبا ما يذكر "**أبو الحسن اللخمي**" وأحيانا أخرى يستغني عن الكنية.

وبالنسبة لنشأته: لم تذكر لنا مصادر ترجمة أبي الحسن اللخمي – و للأسف الشديد – أي شيء عن أسرته التي ترعرع فيها ولا عن مكانتها العلمية والاجتماعية، قصارى ما ذكرته نسبته لجده من أمه: ابن بنت اللخمي، ولم أعثر على أية معلومات تتعلق بجده هذا، ونسبة المترجمين له يدل على أنه مشهور والله أعلم.أما عن أبيه "محمد الربعي" فلا يوجد أي أثر للحديث عنه، هذا فضلا عن إخوته و أقربائه اللهم إلا عن ابن بشير تلميذه الذي يقال أنه قريب له، ولم أجد نوع القرابة بينهما.أما أسرته التي كونها فلا أثر للحديث عنها البتة

نسبه: هو عربي قح، ذلك أنه ينسب من جهة أبيه إلى **الربعي** بفتح الراء والباء في آخرها عين مهملة وهذه النسبة إلى ربيعة بن نزار وربيعة الازد .. [1]

أما من جهة أمه فهو ينسب إلى "اللخمي" وهذه نسبة إلى " لخم"، " ولخم و جذام قبيلتان من اليمن نزلتا الشام "[2] جاء في الأنساب للسمعاني:[3]((و اللخمي – بفتح اللام وسكون المعجمة وبعدها ميم– هذه النسبة إلى لخم بن عدي و اسمه مالك وهو أخو جذام واسم جذام عمر بن عدي وكانا قد تشاجرا فلخم عمر مالكا – أ ي لطمه – فضرب مالك عمرا فجذم يده – أي قطعها – فسمي مالك لخما وسمي عمرو جذاما لهذا السبب)).فهو عربي قح ينتسب أصلاه إلى قبيلة لخم.

---

[1] – اللباب في تهذيب الأنساب. ابن الأثير. مكتبة المثنى (16/2).

أما في معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. عمر رضا كحالة. دار العلم للملايين الطبعة الثانية 1968

" الرَبَعي " ربيعة بن نصر، بطن من لخم.

[2] – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان (167/1). تحقيق إحسان عباس . دار صادر بيروت.

[3] – الأنساب. السمعاني. (132/5). تعليق عبد الله عمر البارودي. مؤسسة الكتب الثقافية. الطبعة الأولى 1988.

نسبته:أما نسبته فهو ينسب إلى " **اللخمي**" نسبة لجده لأمه، ويعرف في كتب الفقه المالكي بهذه النسبة.أما نسبته إلى **القيروان** وصفاقس. فالأولى باعتبار النشأة والأصل: فنشأته بالقيروان وبها ترعرع، وفيها طلب العلم، وأما نسبته إلى **صفاقس** فباعتبار رحلته إليها واستقراره بها إلى الوفاة، وقد دفن هناك وقبره معروف كتبت عليه أبيات من الشعر:

هلال تبدى في علا الأفق ساطع و أشرق عنه الكون كالبرق لامع

أمير كريم علي زكي الفضائل مراد مراد الباي في العز طالع

فأحي ضريح الحبر علمه ظاهر أبي الحسن اللخمي يكن له شافع

فاسمه الكامل هو: **أبو الحسن علي بن محمد الربعي اللخمي القيرواني** نشأة **الصفاقسي** موطنا.

والجدير بالذكر هو:

اشتراك علمين من علماء المالكية معه في الاسم والكنية والنسبة:

أحدهما: مغربي من سبتة هو: **أبو الحسن علي** بن عبد الله **اللخمي** المتيطي صاحب كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام الشهير بـ " المتيطية " توفي سنة 570هـ.

وقد خلط بينهما بروكلمان وجعلهما شخصا واحدا، قال محقق العمر: (نلاحظ أن بروكلمان في أصل كتابه وملحقه {383/1.ملحق661/1} قد خلط بين اللخمي التونسي علي بن محمد صاحب التبصرة وبين علي بن عبد الله بن إبراهيم اللخمي المتيطي الأندلسي صاحب كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام والمشهور باسم الوثائق المتيطية فجعلهما شخصا واحدا وذلك لاشتراكهما في الاسم والكنية والنسبة).[1]

والثاني: دمشقي هو **أبو الحسن علي بن محمد الربعي** يعرف بابن الهول صاحب كتاب فضائل الشام ودمشق. وقد خلط الزركلي[2] بينه وبين أبي الحسن اللخمي صاحب الترجمة، ونسب الكتاب المذكور إليهما معا، قال في ترجمة ابن أبي الهول فصنف فضائل الشام ودمشق. وقال في ترجمة أبي الحسن اللخمي: وله فضائل الشام مخطوط بدار الكتب ألفه سنة 435هـ وقد تبعه في هذا الخلط أيضا محمد محفوظ صاحب تراجم المؤلفين التونسيين حيث قال: " مؤلفاته..2- فضائل الشام ألفه سنة 435هـ بدار الكتب المصرية (كذا في الأعلام)".[3]

مع أنه لم يثبت عن أبي الحسن اللخمي رحلة خارج إفريقية فلم يدخل الشام أصلا، بل ولم يحج. فابن أبي الهول: **علي بن محمد** بن صافي بن شجاع **الربعي أبو الحسن**، وسبب هذا الخلط هو اشتراكهما في الاسم والكنية والنسبة. والله أعلم

---

[1] – كتاب العمر (683/1).

[2] – الأعلام، الزركلي (327/4).

[3] – تراجم المؤلفين التونسيين.محمد محفوظ (218/4) دار الغرب الاسلامي الطبعة الأولى 1984

وفاته :كما أسلفت توفي بصفاقس و بها دفن، وأرخ علماء التراجم الذين تناولوه بالترجمة أن وفاته كانت سنة 478 هـ إلا أن صاحب الديباج أرّخ وفاته سنة 498 هـ وهو وهم منه رحمه الله أو من الناسخ لاشتباه السبعين مع التسعين – بحذف النقاط–

سيرة الإمام اللخمي العلمية: للكلام عن السيرة العلمية للإمام أبي الحسن اللخمي، فأبدأ بذكر **شيوخه ثم أقرانه ثم تلاميذه.**

شيوخ الأمام اللخمي : من العلماء الذين ذكرهم مترجموه:

أبو الطيب عبد المنعم بن إبراهيم الكندي الشهير بابن بنت خلدون:[1] من فقهاء القيروان وصفه القاضي عياض بقوله: "من نبلاء هذه الطبقة و متفننيها وكان له علم بالأصول وحذق بالفقه والنظر" ومن مصنفاته الفقهية التعليق على المدونة، وصفه القاضي عياض:" بأنّه تعليق مفيد ". توفي سنة 435هـ.

أبو إسحاق التونسي، إبراهيم بن حسن : [2]يرد في كتب الفقه بالتونسي،كان فقيها صالحا، عارفا بالحديث ووجوهه وتطبيقه على الفقه، مشهورا بذلك تصدى للفتوى بالقيروان على عهد المعز بن باديس وشاع صيته." له شروح حسنة، وتعاليق مستحسنة .. متنافس فيها على كتاب ابن المواز، وعلى كتب المدونة ".توفي رحمه الله 443هـ.

أبو القاسم عبد الرحمن بن محرز القيرواني: [3] أحد كبراء الفقهاء النظار رحل إلى الشرق وجال في عدة بلدان ولقي شيوخا في مختلف العلوم وسمع منهم وبعد عودته تفرغ للتدريس والتأليف بالقيروان. له مؤلفات عدة وصفت بأنها جادة ومفيدة والمذكور من هذه المصنفات بأسمائها في مجال الفقه :-**التبصرة و هو تعليق على مدونة سحنون – القصد والإيجاز وهو كتاب كبير في الفقه** توفي سنة (450 هـ).

[1] – ترتيب المدارك (771/2). شجرة النورالزكية (107).

[2] – ترتيب المدارك (766/2). الديباج (144).

[3] – ترتيب المدارك (772/2). الديباج (325).

أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث الشهير السيوري:[1](أشهر شيوخ اللخمي لازمه أكثر من غيره) خاتمة أئمة القيروان وذوي الشأن البديع في الحفظ والقيام بالمذهب والمعرفة بخلاف العلماء قال الذهبي: ((كان آية في معرفة المذهب، بل في معرفة مذاهب العلماء زاهدا صالحا)). انتفع به خلق كثير منهم أبو الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ وعبد الحق الصقلي.... **له: التعليق على نكت المدونة.** وقد أشار ابن ناجي إلى أن السيوري لم يؤلف هذا الكتاب، و إنما أصحابه قيدوا عنه ذلك مما يسمعونه منه في درسه لقول المازري في تعليقه على المدونة لم يؤلف السيوري إلا كراسة، وليس له تأليف. توفي –رحمه الله – 460هـ.

أقران الإمام أبي الحسن اللخمي: منهم:

أبو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ (486 هـ) [2]:قيرواني, سكن سوسة ،وكان فقيها أصوليا زاهدا نظارا جيد الفقه .وصفه مخلوف بقوله " الإمام المحقق الفهامة الحافظ العلامة جيِّد الفكر قوي العارضة ". وبه تفقه أبو عبد الله المازري, وأخذ عنه من أهل الأندلس أبو بكر بن عطية.**وأصحابه يفضلونه على أبي الحسن اللخمي قرينه تفضيلا كثيرا.**" له: الإستلحاق لكتاب أبي إسحاق.هوتعليق على متن المدونة لسحنون أكمل به الكتابة التي بقيت على شيخه أبي إسحاق التونسي."

أبو إسحاق إبراهيم بن منصور القفصي: (...هـ)[3]: ((كان من فقهاء إفريقية وفضلائها.)) **له : رفع الإشكال في المسألة النازلة في هلال شوال . جمع فيه آراء معاصريه من علماء القيروان والجريد، كأبي الحسن اللخمي وغيره.** ذكره الونشريسي أحيانا بنسبته (القفصي)، وحينا ورد اسمه فيه (أبو منصور القفصي) والمرجح أن (أبو) محرفة عن (ابن).**عاش إلى الربع الأخير من القرن الخامس.**

---

[1] – ترتيب المدارك (770/2). الديباج (259).

[2] – ترجمته في: – المدارك (794-795). شجرة النور الزكية (117).

[3] – المدارك (772/2)، (796/2).

تلامذة الإمام أبي الحسن اللخمي

لقد كانت للإمام أبي الحسن اللخمي الرحلة لطلب العلم، فقصده الطلبة من آفاق البلدان لينهلوا من علومه ويستفيدوا منه ومن الذين ذكرتهم لنا المصادر وهم قلة.

أبو الطيب الصفا قسي سعيد بن أحمد بن سعيد الينونشي: [1] درس على أبي الحسن اللخمي ثم رحل إلى بلاد الأندلس ،ذكره القاضي عياض في شيوخه وخصص له ترجمة في كتابه الغنية، وقال عنه:كان من المحققين في الفقه والكلام من أهل البلاغة والتآلف والنظم والنثر. توفي سنة (501 هـ).

أبو علي الكلاعي الحسن بن عبد الأعلى: [2]–نشأ بصفاقس ودرس على أبي الحسن اللخمي وعليه كان اعتماده ثم رحل إلى بلاد المغرب والأندلس وتجول في أقطارهما.قال عنه عياض:((..محققا فهما فقيها أصوليا متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض وغير ذلك من المعالم)). استقر في آخر عمره **بأغمات** و بها توفي في محرم سنة (505 هـ)

أبو الفضل يوسف بن محمد التو زري الشهير بابن النحوي [3] : ولد بتوزر وبها نشأ وتعلم على بعض الشيوخ هناك ثم رحل إلى صفاقس قاصدا أبا الحسن اللخمي بعد استقراره باعتباره شيخ الفقهاء في وقته ولازمه مدة، درس عنه خلالها الفقه المالكي، وصحيح البخاري, ثم رجع إلى بلاده وتوجه في آخر أمره إلى قلعة بني حماد وبقي فيها إلى أن توفي سنة (513هـ).قال ابن الأبار: أخذ صحيح البخاري عن اللخمي, ولما جاء سأله اللخمي: ما جاء بك؟ فقال: جئت لنسخ تبصرتك. فقال له: تريد أن تحملني في كفك للمغرب أو كلاما هذا معناه يشير إلى أن علمه كله فيها.

الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري(بفتح الزاي عند الأكثر)[4] : إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، كان آخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ،فهو عمدة النظار وتحفة الأبصار. قال القاضي عياض:((أحد رجال الكمال في وقته)). تفقه بأبي الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ وغيرهم, وتخرج على يديه علماء أجلاء ذكر كثيرا منهم محقق المعلم بفوائد مسلم. له عدة مؤلفات في ميادين شتى ففي الفقه: **– شرح كتاب التلقين– التعليقة على المدونة**. توفي سنة (536 هـ)

إبراهيم بن عبد الصمد التنوخي المهدوي الشهير بابن بشير: [5] لم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته واكتفت بالإشارة إلى أنه كان حيا سنة (562هـ).وقد كان ابن بشير من الفقهاء الأعلام البالغين درجة الاختيار والترجيح

---

[1] – الغنية (210).

[2] – الغنية (140). تاريخ الإسلام (وفيات 501–520. ص106).

[3] – كتاب العمر (464/1). تراجم المؤلفين (19/5).

[1] – الديباج (374). شجرة النور (127). وقد استوعب الشيخ النيفر مؤلفات هذا العلم الجليل. انظر المعلم (57/1–58).

[5] – الديباج (143). تراجم المؤلفين (108/1).

في المذهب المالكي، له قرابة بأبي الحسن اللخمي, وتفقه عليه كثير وانتقده في كثير من اختياراته واجتهاداته وتحامل عليه في كتابه التنبيه على مبادئ التوجيه.قال صاحب الديباج: ((كان رحمه الله إماما عالما مفتيا جليلا فاضلا ضابطا متقنا حافظا للمذهب إماما في أصول الفقه من العلماء المبرزين في المذهب المترفعين عن درجة التقليد إلى درجة الاجتهاد و الترجيح)). له: **– التنبيه على مبادئ التوجيه – كتاب التهذيب لمسائل التهذيب – الأنوار البديعة في أسرار الشريعة – المختصر** وغيرها من الكتب

أبو يحي زكريا بن الضابط:[1] درس على أبي الحسن اللخمي وعليه كان اعتماده وكان معاصرا لأبي عبد الله المازري وبقي بصفاقس لم يرحل منها وبعد وفاة شيخه أبي الحسن اللخمي تصدر للإفتاء، فاشتهر ولعل هذه الشهرة هي التي دفعت النصارى (النرمان) إلى قتله عند احتلالهم لبلاد الساحل، توفي سنة (543هـ).

هناك **ثلاثة تلاميذ ذكرت أسماؤهم في كتب التراجم** و لم أقف لهم على ترجمة:

- عبد الحميد الصفا قسي. – عبد الجليل بن مفوز. – محمد بن عبد الله الصقلي (503 هـ)[2]

مكانة الإمام أبي الحسن اللخمي في مجال الاجتهاد ومنهجه العلمي

مكانته في مجال الاجتهاد:

من خلال تراجم العلماء للإمام أبي الحسن اللخمي. الذين وصفوه بالاجتهاد فإنه يندرج في طبقة المجتهدين المخرجين والمرجحين في المذهب.

ذلك أنه مغرى بتخريج الخلاف كما ذكره القاضي عياض في مداركه. وكذلك في ترجيح الأقوال والروايات في المذهب بقوله وهذا أحسن وهذا أبين. وهذا أولى. وهذا أرجح... وتضعيفه كذلك بقوله وهذا ضعيف. وهذا غير صحيح...فقد مارس كلا الرتبتين.

قال أبو زهرة أثناء كلامه على تقسيم الفقهاء في المذهب المالكي: "...ففي العصور التي تلت عصور التلاميذ, وتلاميذهم كانت الحاجة إلى التخريج ماسة, لوجود فروع كثيرة لم يعرف حكمها من المذهب فاحتاجت إلى التخريج أكثر من حاجتها إلى الترجيح, فكثر التخريج, وقل الترجيح, فلما اتسع المذهب, وكثرت أحكام الفروع وتشعبت الأقوال, وكان الفرع الواحد يختلف حكمه باختلاف الأقوال المتضاربة, أحيانا كانت الحاجة إلى الترجيح والموازنة بين الأقوال من ناحية روايتها, ومن ناحية قائلها, ومن ناحية دليلها, وهذا العمل لا يقل عن التخريج في ذاته, وكل له زمان تكون الحاجة إليه فيه أكثر, والمخرج قد يرجح إن كانت الحاجة لذلك والمرجح قد يخرج إن كانت حاجته إليه, و هؤلاء في المذهب المالكي, المازري, وابن رشد, واللخمي, وابن العربي, والقرافي, والشاطبي, وغيرهم."[3] ولكثرة اختياراته وتخريجاته ونقده للأقوال "ابتدأ يجنح إلى اللحاق برجال دور التفريع في

[1] – نزهة الأنظار مقيدش (279/2).دار الغرب الاسلامي.

[2] – فهرست ابن عطية (ص61).

[3] – الإمام مالك. أبو زهرة (354)

منزلتهم من الاجتهاد المقيد" على حد القول الفاضل بن عاشور.أي أن اختياراته وترجيحاته الفقهية خاصة خارج المذهب المالكي خولت له أن يلتحق برتبة المجتهدين المنتسبين. فكفى بها شهادة من هذا العلم لهذا العالم. فسلم له بالاجتهاد في التخريج والترجيح.ويجدر بي أن أسوق كلامه رحمه الله تعالى حيث قال عن أبي الحسن اللخمي: ((فهو الذي ابتدأ يتصرف.. بمعنى أنه ابتدأ يجنح إلى اللحاق برجال دور التفريع في منزلتهم من الاجتهاد المقيد، فكان في شرحه على المدونة "التبصرة"يعتمد أحيانا على نقد الأقوال من ناحية إسنادها فيعتبر أن أحد القولين أصح من القول الآخر أي إسنادا، وأحيانا ينتقدها من ناحية رشاقة استخراجها من الأصول التي استخرجت بها، وهو ما يعبر عنه بالأولى يقول أحيانا: وهذا أولى، أو ينظر إلى أنه الأقرب إلى تحقيق المصلحة المرعية من الشّرع في تفريع ذلك الحكم وهو ما يقول فيه أحيانا: وهذا أرفع))

شروط الاجتهاد المتوفرة في الإمام [1]:

بعد أن تحدثت عن مراتب المجتهدين في المذهب المالكي والرتبة أو المكانة التي يحتلها الإمام اللخمي من الاجتهاد في المذهب المالكي. وكونه مجتهدا مخرَّجا ومرَّجحا.

أحببت أن أذكر بعض شروط الاجتهاد المتوفرة في الإمام اللخمي.

ففي مجال اللغة يورد اختلاف أئمة اللغة ويناقش أقوالهم ويرجح ما يراه راجحا. وقد وصفه القاضي عياض بقوله: (ذا حظ من الأدب) [2]

أما في التفسير يورد اختلاف المفسرين في الآيات التي استدل بها، ثم يدلي برأيه ويقرر ما ترجح لديه. ثمّ هو قلما يورد بابا من أبواب الفقه إلا ويستدل له بالكتاب والسنة.

أما **علمه بالسنة** فهو يذكر روايات الحديث ومظانها في كتب السنة، ويورد اختلاف الألفاظ، ويرجح ويحكم على السند بالصحة أو الضعف أو الحسن ويذكر بعض رواة الحديث ودرجته وهذا نادر. لكن طريقته هذه تنبئ عن تمكنه من علم الحديث دراية ورواية، وصفه عياض بقوله: (ذا حظ من الأدب والحديث) ووصفه مخلوف:(الإمام الحافظ) وكما ذكرت سابقا قلما يورد بابا من أبواب الفقه إلا ويستدل له بالكتاب والسنة.

أما **علمه بالإجماع** فيظهر من ذكره للإجماع في فواتح الكتب والأبواب. وبما أنه سلم له باستقراء الأقوال. فعلمه بالاجماعات فرع عن الاستقراء. قال عياض: (مغرى بتخريج الخلاف واستقراء الأقوال)، هذا بالنسبة للإجماع المذهبي ،أما إجماع العلماء فله إطلاع عليه يظهر ذلك من خلال كتابه التبصرة كما أسلفت.

أما كونه **عالما بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام**. فكتابه التبصرة يشهد له بذلك وقد وصفه القاضي عياض: (جيد النظر, حسن الفقه, جيد الفهم, وكان فقيه وقته)وقول مخلوف: (رئيس الفقهاء في وقته) وبما أنه حاز رئاسة

---

[1] – تكلمت عليها الدكتورة نادية شريف العمري في كتابها الموسوم: الاجتهاد في الإسلام (ص58-117) مؤسسة الرسالة ط2 .1985 – وكذا التخريج عند الفقهاء والأصوليين (321-342)

[2] – ترتيب المدارك (797/2)

المذهب المالكي بإفريقية وأصبح رئيس الفقهاء في وقته فهي مرتبة لا تكون إلاّ لمن سُلِّمَ له بالتمكن في علوم الاجتهاد.

إضافة إلى ما سبق ذكره فقد كان (**حسن الخلق، مشهور المذهب**).يدل على عدالته وتقواه.

وكخلاصة لما سبق. فأستطيع الجزم **بأنّ الإمام أبا الحسن اللخمي من المجتهدين المخرجين والمرجحين في المذهب المالكي وقد استكمل شروط الاجتهاد في الجملة** والله أعلم.

ثناء العلماء على أبي الحسن اللخمي:

لقد حظي الإمام أبو الحسن اللخمي بمكانة عالية و صف فيها بالعلم و الفهم بل وبالإمامة إلى جانب الخلق الرفيع والأدب السامي، وهذه بعض النقولات على ما وقفت عليه من ثناء العلماء عليه – رحمه الله –.

قال ابن فرحون: [1] وكان أبو الحسن فقيها، فاضلا, دينا, متقنا ذا حط من الأدب.

القاضي عياض : [2] وكان أبو الحسن فقيها فاضلا دينا، مفتيا متقنا ذا حظ من الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم، وكان فقيه وقته... وكان حسن الخلق مشهور المذهب. **قال الذهبي:** [3] الفقيه المالكي .. وطال عمره و صار عالم إفريقية. و**قال الوزير السراج:** [4]حاز رئاسة إفريقية جملة و بعد صيته بها **وقال محمد مخلوف:**[5] الإمام الحافظ العالم العلم العمدة الفاضل رئيس الفقهاء في وقته إليه الرحلة **وقال الفاضل بن عاشور:** [6] الإمام اللخمي **قال محمد محفوظ:**[7] الفقيه النَّظَّار.

واختم هذه السلسلة العطرة من الثناء، المفعمة بالتبجيل والاحترام لهذا الإمام بقول **الأستاذ الشيخ مختار السلامي:** (إنه جمع إلى العلم زينة العلماء, الخلق العالي والنباهة وجودة الفكر).[8]

أمّا مكانته في المذهب المالكي فإنه لا يخلو كتاب من كتب الفقه المالكي التي ألفت بعد الإمام أبي الحسن اللخمي إلا واسمه مع اختياره أو حكاية قوله مذكور إما مناقشة وردا و إما انتصارا وقبولا.فممن عاصره و نقلوا عنه على كلا الاعتبارين تلميذاه: المازري وابن بشير.

---

[1] – الديباج (298).

[2] – ترتيب المدارك (797/2).

[3] – تاريخ الإسلام (وفيات 470-480.ص 442).

[4] – الحلل السندسية في الأخبار التونسية لبن الوزير السراج (322/1) تحقيق محمد الهيلة دار الكتاب العربي 1994

[5] – شجرة النور (117).

[6] – المحاضرات مغربيات. (79) .

[7] – تراجم المؤلفين التونسيين (218/4).

[8] – شرح التلقين (57/1).

وابن رشد الجد وقفت على نقله لأقواله في كتابه البيان والتحصيل، وفي فتاويه, والقاضي عياض وغيرهم. وهكذا درج العلماء على حكاية أقواله واختياراته حتى أنه لم تخل كتب المختصرات الفقهية المالكية التي تعنى بذكر الراجح والمعتمد في المذهب من ذكر اختياراته وممن ذكرها:

– ابن شاس[1] في عقد الجواهر الثمينة –ابن الحاجب[2] في مختصره الفقهي

- ابن عرفة في مختصره الفقهي

وشيخ المذهب بلا منازع الشيخ خليل في مختصره والذي اعتبره من الأئمة الأربعة المعتبرة ترجيحاتهم وأقوالهم في المذهب المالكي. وهذه وحدها كافية في اعتباره إماما من أئمة المذهب المالكي ومجتهديه.

قال **خليل** في مقدمة مختصره: ((وبـ " **الاختيار** " اللخمي لكن إن كان بصيغة الفعل فذلك لاختياره هو في نفسه وبالاسم فذلك لاختياره من الخلاف)) [3]

قال **الحطاب**[4]: ((يعني أنه يشير بمادة الاختيار لاختيار اللخمي، لكن إن ذكر ذلك بصيغة الاسم نحو المختار والاختيار فذلك لاختياره من الخلاف لمن تقدمه وإن ذكره بصيغة الفعل نحو اختار واختير فذلك اختياره في نفسه)) [5]

وقال **ابن مرزوق**[6]: ((وأكثرهم اختيارا واعتمادا على ما يراه من تلقاء نفسه، اللخمي ولذا قدمه وخصه بمادة الاختيار)).وقال أيضا: ((وترتيبهم في الذكر قد يكون بالتقدم الزماني وإن كان يسيرا في بعضهم، وقد يكون بالتقدم في فن الفقه خاصة من حيث الجملة وإن كان بعضهم أقعد في النقل وبعضهم أقعد في الفهم على حسب المواهب الإلهية والقسم الربانية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم، فسبحان من جعل من فضله عليهم أن جعلهم أئمة يقتدى بهم في العلم والدين وخلد ذكرهم في الصالحات)).

أمّا ما قاله **ابن عرفة** من أنه " لا يجوز لأحد يقف في مسألة على نص ابن رشد ويأخذ فيها بكلام اللخمي..."، فقد **رد** عليه **أحمد بابا التنبكتي** بقوله:((وهذا الذي نقله عن ابن عرفة وإن كان له وجه ما، إلا

---

[1] – هو عبد الله **بن نجم بن شاس، أبو محمد كان** فقيها في مذهبه عارفا بقواعده، صنف في مذهب مالك كتابا نفيسا الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة توفي سنة 610 هـ الديباج 229 شجرة النور 165 الفكر (220/2)

[2] – هو أبو عمرو عثمان **بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب** كان ركنا من أركان الدين في العلم والعمل من أذكى الأمة قريحة ثقة حجة له: الجامع بين الأمهات توفي سنة 646 هـ الديباج 289 شجرة النور 167

[3] – مختصر خليل (11)، اعتنى به وحققه أحمد ثامر.

[4] – هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني أبو عبد الله المغربي أصلا المكي مولدا المعروف **بالحطاب** الحافظ الحجة له: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام توفي سنة 954 هـ نيل الابتهاج 337 شجرة النور 270

[5] – مواهب الجليل (49/1).

[6] – أبو الفضل محمد أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بالحفيد الحجة الحافظ له شرح على مختصر خليل لم يكمله وشرح على التهذيب توفي سنة 842هـ الفكر السامي (256/2) نيل الابتهاج 293

أنه قد لا يوافق عليه، فقد مشى خليل في مختصره في مواضع عديدة على كلام اللخمي دون ابن رشد مع وقوفه على كلامه في ذلك الموضع لنقله له في توضيحه)) [1] وباعتماد المختصرات الفقهية على اختياراته والنقل عنه ،الأمر الذي يتضمن الاعتراف بصحة رأيه وتصويب اجتهاده، يؤكد لنا سقوط دعوى تمزيقه للمذهب المالكي في قول قائلهم: **و لقد هتكت قلبي سهام جفونها * كما هتك اللخمي مذهب مالك**[2]

و قول الأخر: [3]

واعتمدوا تبصرة اللخمي * ولم تكن لجاهل أمّي

و لقد مزق باختياره * مذهب مالك لدى امتياره

وأنها دعوى لا تعتمد على أدلة وبراهين، وكيف يكون هذا وأقواله واختياراته معتمدة في المذهب.

وأزيد هنا تعزيزا لما ذكرت سابقا قول الغبريني وقد سأل أحد شيوخه وهو أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي عن اختيارات اللخمي وغيره هل تحكى أقوالا في المذهب،

قال الغبريني[4]: ((وسألته رحمه الله عن اختيارات أصحابنا المتأخرين من الفقهاء كاللخمي وابن بشير وغيرهما هل تحكى أقوالا عن المذهب فيقال مثلا في المذهب ثلاثة أقوال بما يقوله اللخمي أو لا ؟، فقال لي : إنما تكون الحكاية بحسب الواقع فيقال في المذهب قولان، ويقال قال اللخمي كذا، أو فلان كذا، ويعزى إليه ما قال.وسألت عن هذه القضية شيخنا الفقيه أبا القاسم ابن زيتون فقال لي: نعم، يحكى قول اللخمي وغيره قولا في المذهب كما يحكى قول من تقدم من الفقهاء قولا في المذهب.وهذان الجوابان جيدان:أما جواب الفقيه أبي العباس فإنه مبني على سبيل التوقف والورع. وأما جواب الفقيه أبي القاسم فإنه مبني على سبيل النظر لأنه رأى **أن كل جواب بني على أصول مذهب مالك وطريقته فإنه من مذهبه والمفتى به، وإنما أفتى على مذهبه فيصح أن تضاف هذه الأقوال إلى المذهب وتعد منه**)) [5]

وقفـــــــــة:

---

[1] – نيل الإبتهاج (171)

[2] – فهرس ابن غازي – الموسوم بـ: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد (67). ابن غازي. تحقيق محمد الزاهي الدار البيضاء 1979.و هذا البيت ليس لابن غازي وإنما حكاه عن غيره حيث قال:"وأنشدني أيضا قال أنشدني أبو عبد الله العكرمي لبعضهم " وذكر الأبيات.

[3] – هو محمد النابغة العلاوي الشنقيطي.صاحب نظم بوطليحية، البيتان في نظمه: اصطلاح المذهب (ص 623).

[4] – أبو مهدي **عيسى بن أحمد الغبريني** التونسي قاضي تونس وفقيهها وحافظ المذهب توفي سنة 815هـ
نيل الابتهاج 193 الفكر السامي (252/2)

[5] – عنوان الدراية (117).

أحببت أن أختم هذا المبحث بجواب عن سؤال فرض نفسه أثناء هذه الدراسة المتواضعة وهو: **هل الإمام أبو الحسن اللخمي ضعيف في الأصول ؟**

لقد استوقفني كلام الشيخ مختار السلامي محقق كتاب شرح التلقين أثناء ترجمته للإمام أبي الحسن اللخمي بقوله (لذا كان المازري يتعقب كلامه – أي اللخمي – مصرحا بأن حظه من الأصول ضعيف).ولم أقف على هذا التصريح المنسوب للإمام المازري، ولعل الشيخ – حفظه الله – أستنتجه من كلام المازري حيث يقول: (**وإن كان رحمه الله ليس بخائض في علم الأصول، ولكن تعلق بحفظه منها ألفاظ ربما صرفها في غير مواضعها**)[1]

ولعلي أدلو بدلوي في هذا المقام فأقول:

– قول المازري (**ليس بخائض في علم الأصول**) تحمل – و الله أعلم – على معنى الغوص والتعمق فيه والترجيح في المسائل الأصولية المختلف فيها والتي تحتاج إلى خوض وغوص في علم الكلام كما هو معروف، وهذه الخِصِّيصِيَّة هي التي تحمل على وصف عالم ما بكونه بارعا في أصول الفقه، أو أصولي.وكون الإمام اللخمي ليس بخائض في علم الأصول بهذا المعنى لا يستلزم ضعفه في علم الأصول ففرق بينهما.

–وقوله كذلك (**لكن تعلق بحفظه منها ألفاظ ربما صرفها في غير مواضعها**) فكلمة "**ربما**" للتقليل وهذه لا ينجو منها أحد، بمعنى أنه ليس من شأنه صرفها في غير مواضعها، مع أنّ حكمه هذا كان أثناء سن الحداثة لما كان يملي شرح التلقين وهو في حياة اللخمي وبعد وفاته ولم يكمله لأنه لما توفي اللخمي كان عمر المازري خمسا وعشرين سنة[2].

وقد عثرت في فتاوى الإمام المازري على نص **يصنف فيه الإمام اللخمي من الذين لهم تمكن في أصول الفقه** فارتأيت أن أذكره.

سئل الإمام المازري عن تقليد العامي إذا تشعبت عليه الآراء.

فقال: ((هذه المسالة تتعلق بالأصول والذي ذكره الأصوليون أنّ فيها خلافا لهم في تقليد العامي عالما مات هل يجوز أم لا ؟ فمن منع أوجب عليه سؤال العالم المعاصر من أهل الاجتهاد الذين يجب الأخذ عنهم بما أداهم إليه اجتهادهم ...لكن لم يعدم بالكلية **من قرأ كتب المذهب و علم معاني الروايات وما اتفقت عليه من أصول المذهب وتفقهه في ذلك وهؤلاء أيضا يقل وجودهم**، فالعامي إذا وجد **من أشرنا إليه بهذه الأوصاف** فلا ينبغي له أن يدع استفتاءهم وينظر لما في الصحف فإن الأخذ منها لا يوثق به إلا إذا أخذ بمضمونه الفقيه الذي ذكرنا وصفه عند عدم المجتهدين وقد يكون رواية مبنية على عادة يعرف ذلك من قرأ المذهب واتسع فيه وقرأ كتب المتأخرين كابن الكاتب والشيخ أبي إسحاق وشيوخنا نحن **كالشيخ أبي الحسن اللخمي** والفقيه عبد الحميد،

---

[1] – أما قوله (لا يقع فيها حاذق بعلم الأصول)، ليس وصفا للإمام أبي الحسن اللخمي، والوصف ما ذكرت.

[2] – شرح التلقين(57/1).

فيكون العامي إذا سأل هؤلاء الذين يستجدوا في أصول الفقه ومسائل الخلاف وطرق النظر على ثقة بالمراد بما سطر في كتب...)) [1]

فهو في هذا النص جعله من الذين يستجدوا في أصول الفقه أي من الذين لهم باع في أصول الفقه لكن ليس بالمعنى الذي نفاه عنه من الخوض فيه, والله أعلم.

هذا من ناحية حكم الإمام المازري عليه و توجيه كلامه.

أما من ناحية الحكم عليه من خلال كتابه التبصرة فأقول :

- أنه اعتبرت تخريجاته في المذهب وسلم له في الكثير منها، والتخريج كما قال القرافي: (**فلا يجوز التخريج** .. إلا لمن هو عالم بتفصيل أحوال الأقيسة والعلل ورتب المصالح وشروط القواعد وما يصلح أن يكون معارضا وما لا يصلح، **وهذا لا يعرفه إلا من يعرف أصول الفقه معرفة حسنة**(*))[2]

و بهذا الاعتبار فالإمام اللخمي له معرفة حسنة بأصول الفقه.

- استعماله الواسع لعلم أصول الفقه في كتابه التبصرة وسبق أن أشرنا إلى هذا.
- استنباطه لأصول شيوخ المذهب يدل عل تمكنه.
- كونه سلم له **بالاجتهاد في المذهب** وهذه الدرج العلمية **تتنافى مع الضعف في أصول الفقه**.

وأخيرا يمكن القول بأن الإمام أبا الحسن اللخمي له تمكن من أصول الفقه لكن ليس بدرجة من يغوص ويدقق في هذا العلم. والله أعلم.

منهجه العلمي : للحديث عن المنهج العلمي للأمام أبي الحسن اللخمي، التركيز على أعماله العلمية، من التدريس والفتوى والطريقة التي إتَّبعها في كتابه التبصرة فجاءت كالآتي :

من حيث التدريس التدريس:

جلس أبو الحسن اللخمي للتدريس بالمسجد الذي أسسه لنفسه[3]، بعد نزوله صفاقس وقصده الطلبة الصفاقسيون وغيرهم فقد "كانت إليه الرحلة "[4]، وكانت دروسه تتمحور أساسا حول الحديث و الفقه.

ففي مجال الحديث كان يدرس لطلابه صحيح البخاري الذي أخذه عن شيوخه القرويين، وقد أشرت سابقا إلى أن صحيح البخاري دخل في وقت متأخر إلى القيروان على يد أبي الحسن القابسي وعنه أخذ بعض شيوخ الإمام اللخمي.

---

[1] – فتاوى الإمام المازري جمع وتحقيق الطاهر العموري (ص 348) الدار التونسية للطبع 1994.

[2] – الفروق للقرافي (195/2).تحقيق خليل منصور. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1998.

(*) – رحم الله القرافي كيف أنه حكم على معرفته بالأصول بأ**ن تكون حسنة** لا أن يكون أصوليا."خائض في علم الأصول "

[3] – تاريخ صفاقس (141).

[4] – شجرة النور الزكية (117).

وقد كان للإمام أبي الحسن اللخمي دراية واسعة بالحديث وفقهه يظهر ذلك جليا من خلال بعض المواضع التي وقفت عليها من تبصرته، فهو حين يذكر الحديث:

– غالبا ما يشير إلى رواياته المختلفة، وبالتالي إلى الزيادات التي انفرد بها بغض المحدثين.

–ينص على من خرجه، ويبين درجته أحيانا.–يبرز محل الدلالة.–يورد بعض فهوم العلماء، ويرجح ما يراه صوابا.

ولا بأس أن أذكر بعض النماذج من كتاب التبصرة تؤيد و تؤكد ما ذكرته: قال:

وهذا حديث حسن السند ذكره النسائي. –وهذا حديث حسن صحيح ذكره الترمذي في مسنده.– وهذا حديث صحيح ذكره الترمذي في مسنده.–وقد روى الترمذي حديثا حسن السند.–وهذا الحديث وإن لم يكن بطريق صحيح فقد صحبه العمل.–وهذه الأحاديث ذكرها البخاري ومسلم ، وقد تضمن هذا الحديث ثلاث فوائد...وقد اختلف في معنى سقوط السكنى، لفاطمة بنت قيس، **فأخرج مسلم** [1] أنها قالت: يا رسول الله أخاف أن يقتحم علي، فأمرها أن تتحول و**ذكر البخاري** أنه كان بينهم شر فانتقلت لذلك...

واختلف في قيمة المجن، فقال **ابن عمر** قطع النبي صلى الله عليه وسلم في مجن قيمته ثلاثة دراهم[2].

وفي **النسائي**[3] **عن عائشة** ثمنه ربع دينار، ومنه عن **أنس**[4] ثمنه دينار ومنه عن **ابن عباس**[5] ثمنه عشرة دراهم... لأن **الحديث** بالقطع فيما بلغ ثمن المجن ليس **بصحيح** [6].

وقول **النبي صلى الله عليه وسلم**، مؤداة، و مردودة واحد لأن من واد فقد رد ومن رد فقد واد، و**اللفظ مختلف والمعنى واحد.**

إذا أقر الحر أنه سرق من حرز ربع دينار فصاعدا قطع إذا تمادى على إقراره فإن رجع وأتى بعذر لم يقطع واختلف إذا لم يأت بعذر هل يقال لحديث ماعز وقول النبي صلى الله عليه وسلم **هلا تركتموه** أو لا يقال، **لأن الأصل في الإقرارات أن لا يعمل بها بالرجوع عنها** و **لأن قوله صلى الله عليه وسلم محتمل أن يريد بتركه أن يسأله** هل له عذر. و**الأول أليق لأنه قال ألا تركتموه، ولم يزد على ذلك، ولأنه وقت الحاجة إلى بيان الحكم فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.**

---

[1] – صحيح مسلم برقم 1480ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر 1983 وفي البخاري برقم 5321

[2] – أخرجه البخاري برقم 6298 ومسلم برقم 1684

[3] – سنن النسائي كتاب السرقة رقم 4941

[4] – في سنن النسائي عن أيمن برقم 4953 وليس عن أنس .

[5] – سنن النسائي برقم 4960

[6] – في صحيح مسلم برقم 1685 عن عائشة لم تقطع يد السارق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقل من ثمن المجن فقول اللخمي: " **الحديث** بالقطع فيما بلغ ثمن المجن ليس **بصحيح**" غير صحيح والله أعلم

فهذه الطريقة الحديثية في كتاب التبصرة تعطي لنا صورة تقريبية عن الطريقة التي كان الإمام اللخمي يشرح بها صحيح الإمام البخاري، وهذه الطريقة تأثر بها الإمام المازري في كتابه المعلم فبينهما شبه كبير في الطرح، والله أعلم.

أما في مجال الفقه، فكتابه التبصرة لا يتعرض للخلاف العالي بين المذاهب إلا نادرا، وإنما يركز على الخلاف المذهبي فقط، ويرجح ويوجه الروايات إلى غير ذلك.

فقد تميزت دروسه في الفقه بالجمع بين فروع المذهب وأصوله ومناقشة الروايات والأقوال وتوجيهها وتعليلها وبيان أسباب الخلاف فيها وتقرير ما هو راجح منها، وهي طريقة ممتعة تدفع عن المستمع السآمة والملل.

أما المناقشة والاعتراض فقد كان لها حظ وافر في حلقاته، فهو منفتح في حلقته يعطي للطلبة حق الاعتراض والمناقشة وإبداء الرأي، ويصغي إليهم، وينزل إلى آرائهم إذا ظهر له وجه صوابها وهذا من كمال تواضعه، وشدة حرصه على فهم طلبته، وتنمية الملكة الاستنباطية والاستدلالية لهم.ولا بأس في هذا المقام من عرض بعض ما ورد من مناقشة الإمام المازري لشيخه أبي الحسن اللخمي

جاء في **إيضاح المحصول**، للإمام المازري، قال: " وقد دار بيني وبين الشيخ أبي الحسن في هذا السؤال (إيجاب العزم في الأمر) مقام طويل حين قراءة **صحيح البخاري** عليه، وذلك أني عرضت له بمذهب القاضي في إيجاب العزم فاشتد إنكاره لذلك، واستبعده كما استبعده أبو المعالي الجويني هاهنا واستعظم القول به فلم يكن إلا قليلا، حتى قرأ القارئ " إذا التقى المسلمان بسيفيهما .." الحديث وفيه تعليل النبي صلى الله عليه وسلم كون المقتول في النار بكونه حريصا على قتل صاحبه، فقلت هذا يشير إلى ما قاله القاضي... فأشار إلى أن هذا يرده الحديث الصحيح في أنَّ من هم بالسيئة ولم يعملها لم تكتب.." وهي مناقشة طويلة.[1]

وفي **المعيار المعرب**:

قال: (وقد ذكرت شيئا من ذلك –كون الجماد يسبح – عند اللخمي، وقلت له أن القاضي أبا الطيب يمنع من هذا، فقال لي قوله تعالى﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [2].يدل على أن الجمادات كلها تسبح، وأنكر قول القاضي غاية الإنكار، **وقال لي خلوا ما أنتم عليه من كلام الأصوليين**، وكان رحمه الله يستثقل كلام الأصوليين، فقال له عبد الجليل فهذه الحمى تسبح فقال نعم من الغيظ، فسكت عبد الجليل لمار أينا من غيظه).[3]

---

[1] – إيضاح المحصول من برهان الأصول المازري (82) عمار طالبي، دار الغرب الطبعة الأولى 2000.

[2] – سورة الإسراء الآية 44

[3] – (345/12)

قال – المازري –:" ولقد كنت خاطبته على مواضع منها – مسائل أصولية – رأيته انحرف فيها عن أغراض أهلها، فربما أظهر قبولا لذلك، وربما استثقله".[1]

من حيث الإفتـــاء:

كانت للأمام أبي الحسن اللخمي جرأة قوية، وشجاعة نادرة على الإفتاء، لا يبالي بمن خالفه، أيا كان، ولم يكن يقلد أحدا في فتواه إلا إذا ظهر له وجه صواب قوله، وترجح لديه مستنده.وفيه يقول بعضهم في مدح طريقته: [2]

واظب على نظر اللخمي وإن له * فضلا على غيره للناس قد بانا

يستحسن القول إن صحت أدلته * ويوضح الحق تبيانا وفرقنا

ولا يبالي إذا ما الحق ساعده * بمن يخالفه في الناس من كانا

ولعل هذه الخصيصية هي التي كانت وراء تلك الشهرة التي نالها، وطارت فتاويه بسببها شرقا وغربا. ولعلها أيضا كانت السبب أو من الأسباب في إساءة شيخه أبي القاسم السيوري الظن به.قال القاضي عياض: ((وكان السيوري يسيئ الرأي فيه كثير الطعن عليه)).[3]

ولم يكن يسيئ الرأي فيه لسوء أخلاقه لأن كل من ترجم له إلا وذكر حسن خلقه وكمال أدبه. ولعل بعض المخالفات لشيخه في بعض الفتاوى حين يفتي بخلاف ما أفتى به شيخه، من الأسباب في إساءة الظن به والله أعلم.

وعلى كل فقد احتفظت لنا:

- فتاوى البرزلي[4] [5].
- وفتاوى الونشريسي[1] [2]

---

[1] – شرح التلقين (61/1)

[2] – فهرس ابن غازي – التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد (67). ابن غازي. تحقيق محمد الزاهي

[3] – يرى الشيخ محمد محفوظ، في كتابه تراجم المؤلفين أن (السيوري نوعا ما استراب من اللخمي الذي اشتهر إذ ذاك بفتاويه، وأنكر ميله إلى الخروج أحيانا من مذهب الأشعري، وكلام الأصوليين ..).

[4] – أبو القاسم أحمد بن محمد **القيرواني الشهير بالبرزلي** من أعلام المالكية فقيه تونس أحد الأئمة في المذهب له جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام توفي سنة 844 هـ شجرة النور 245 الفكر السامي (256/2)

[5] – الموسوم بـ : جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام

بكم هائل من فتاوى الإمام أبي الحسن اللخمي.

ومن خلال مطالعتي للكتابين لاحظت أن فتاواه قد طرقت عدة أبواب فقهية خاصة منها جانب المعاملات.

وتتميز هذه الفتاوى بـ:

- ارتباطها بمختلف مناحي الحياة. – اشتمالها على التوجيه والتعليل وعلى سبب اختيار القول المفتى به مع عنايته بالأدلة. – إعلانه الصريح بمخالفته لأساطين المذهب، وهي جرأة وصراحة وشجاعة نادرة.

خاتمة البحث :

إنّ هذه الرحلة الممتعة والقصيرة, التي عشتها مع الإمام أبي الحسن اللخمي, أبرزت لي عدة جوانب من شخصية هذا العلم الجليل, أذكر منها:

– تحرره من التعصب المذهبي وتجرده للدليل، فهو حريص على الأخذ بما يؤيده الدليل من الكتاب و السنة والقياس ولو أدى ذلك إلى مخالفة الإمام مالك أو أحد كبار تلاميذه لا عن أغراض دنيئة من حب الشهرة والتطاول على العلماء.

– انفراده بطريقة خاصة في خدمة المذهب المالكي وهي الطريقة النقدية كما سماها العلامة الفاضل بن عاشور, والتي تجمع بين الطريقة العراقية والطريقة القروية.

– استعماله الواسع للأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس, وكذا الأدلة التي انفرد بها المالكية عن غيرهم كعمل أهل المدينة وسد الذرائع والعرف...وهذا ينبئ عن تمكنه من هذا العلم والذي يخول له تبوء رتبة الاجتهاد في المذهب المالكي (الاجتهاد المقيد)، فهو ممن يؤصل ويخرج ويفرع ويوجه ويعلل ويقيس وينظر ويصحح ويضعف وينتقد، فقد استوعب فروع المذهب وأصوله، ومن نظر في كتابه "التبصرة" جزم بذلك .

– أنّ ما وُسِمَ به من تمزيقه للمذهب المالكي وخروجه عنه هي دعوى غير قائمة على أسس سليمة, بقدر ما هي دعوة إلى التنفير منه، وترك أرائه واختياراته, ثم لم تلبث هذه الدعوى أن تلاشت وضعفت أمام اعتماد أئمة المذهب المالكي المبرزين المتأخرين وترجيحهم لبعض اختياراته وآرائه الفقهية، فقل أن تجد مؤلفا في فروع المالكية من المتأخرين إلا وقد نقل عنه.

– أن كتابه التبصرة ثروة فقهية هامة, وذخيرة من ذخائر المذهب المالكي, حوى في طياته أراء المتقدمين ونقل عن كتبهم التي لم نسمع إلا باسمها فحفظ لنا بذلك تراث أئمة المذهب المالكي.لذا فإنّ كتابه يحتاج إلى دراسة وتحقيق. لِتَعْمُر به مكتبة المذهب المالكي, ويفتح لنا آفاق الاجتهاد, فقد قال رحمه الله: (لا خلاف عندنا في مسائل الفروع أنّ القول فيها بالاجتهاد والقياس واجب, فإذا كان ذلك وكان إهمال كتبهم كَتْبَهَا وبيعها يؤدي إلى

---

[1] – أبو العباس أحمد **بن يحي الونشريسي** التلمساني ثم الفاسي حامل لواء المذهب المالكي بالديار الإفريقية في وقته له: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك توفي سنة914 هـ نيل الابتهاج 87 شجرة النور 274

[2] – الموسوم بـ: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.

التقصير في الاجتهاد وألا يوضع مواضعه (فإنّ كتبها وبيعها واجب) لأنّ معرفة أقوال المتقدمين والترجيح بين أقاويلهم قوة وزيادة في وضع الاجتهاد مواضعه) (1) .

ولي في هذا المقام مقال آخر سوف ينشر قريبا إن شاء الله بعنوان "كتاب :التبصرة بين كتب الفقه المالكي "

هذه أهم النتائج الذي وقفت عليها وقد حاولت جاهدا أن أعطي البحث حقه وأن أشبع القول فيه, فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

﴿وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك﴾

الإيقاع اللغوي في الأجناس النثرية و الكلام المرسل
- فن الخطابة و المقامة و آيات القرآن الكريم نماذج تطبيقية

الأستاذة: راضية واكي
جامعة الجلفة

مدخل: الإيقاع الأدبي

الإيقاع اللّغوي اللّفظي مصطلح أدبي فني له حدوده وقوانينه في الشعر والنثر معاً فإنه ينطلق من مفهومه الاصطلاحي العام وهو التنظيم و الانتظام ليمارس مثل هذا الدور في سياق المستويات اللغوية ، إذ يناط به تنظيمها ليسهل أداء الوظائف المبتغاة من استخدامها . ولأنّ الأدب جزء من هذه اللغة، فإنّه يعد لغة فوق اللغة، بمعنى أنه يُوَظِّف اللغة جمالياً (فنياً) في مفارقة واضحة للمستوى المعياري لهذه اللغة، فيما سمي حديثا بالشعرية التي " هي إعادة تنظيم للغة العادية "[1]. و يتمّ هذا التنظيم من خلال مستويات عدّة أهمها المستوى الصوتي للغة، والذي يقوم بهذا الدور التنظيمي هو الإيقاع كمقياس لأنّه الميزان الحاكم لهذه العملية. فالإيقاع هو الميزان، والميزان هو الإيقاع، والعلاقة بينهما كعلاقة العين و البصر، وإذا أسندنا إلى الإيقاع وظيفة ما فإنّه يصبح ميزاناً ضابطاً لهذه الوظيفة[1].

وغالباً ما تكون الوظيفة المنوط بالإيقاع تنظيمها هي تحقيق (الشعرية) من خلال تشكيل العناصر اللغوية تقنيا، وشكليا. وهذا ما عُرِفَ في العصر الحديث عند جاكبسون بـ(نحو الشعر)[1]،

[1]- التبصرة م ب (ق 239/ و أ), وما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق.